مدرسة سلامة (المؤيدية) في تعز
(أنموذج لأوقاف المرأة في العصر الرسولي)
من خلال الوقفية الغسانية

د. عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
كلّية الآداب– جامعة تعز

أسهمت الأوقاف بدور كبير في خدمة المجتمعات الإسلامية في كثير من مراحل تاريخها، وكان للتعليم من هذه الأوقاف الحظ الأوفر، وكانت تشهد مداً وجذراً عبر مراحل التاريخ تبعاً للتوجه العام للدولة والمجتمع.

وفي عصر الدولة الرسولية عرفت اليمن الجزيرة العربية وأجزاء من الجزيرة العربية ألواناً متعددة من الأوقاف بدأها الحكام، وقلدهم فيها الموسرون والمقتدرون من الأمراء القضاة والعمال والتجار، وغيرهم من رعايا الدولة[1]، بما في ذلك الموسرين من العلماء [2].

وكان لهذا الاهتمام أثره الواضح في ازدهار الحياة العلمية في عصر الدولة الرسولية عندما كان ملوك هذه الدولة إذا دخلوا قرية أسعدوها، فبنوا فيها المدارس والمساجد وأوقفوا عليها بسخاء.

وكان من ثمار ذلك الاهتمام بالعلم والعلماء أن ازدهرت الحياة العلمية، فتبعتها نهضة في شتى مناحي الحياة، فعرفت اليمن نتيجة لذلك حكماً رشيدا لاسيما أن ملوكها كانوا هم أيضاً علماءها، وتوسعت جغرافياً عبر مساحة شاسعة امتدت من ظفار في عمان شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً، ومن بحر العرب جنوباً حتى المدينة المنورة شمالاً. وازدهرت اقتصادياً فتدفقت الثروة إلى خزانة الدولة، وارتفع مستوى معيشة المجتمع، وأنفقت الدولة بسخاء على المرافق العامة في مجالات التعليم والصحة والطرقات والري، وغيرها من المجالات، وأوقف بنو رسول على هذه المرافق الأوقاف الجليلة.

هذا الازدهار الاقتصادي وتلك النهضة العلمية وذلك الامتداد السياسي الذي عرفه اليمن في العصر الرسولي أتى في وقت شهدت فيه البلاد الإسلامية انحساراً كبيراً وضموراً واضحاً في كثير من أجزائها وفي شتى جوانب الحياة فيها، فسقطت عاصمة الخلافة العباسية بغداد وقتل آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله على يد المغول[3]، ودمرت بغداد تدميراً هائلاً، وتعرضت بلا، وتعرضت بلاد المسلمين في الشام مصر للهجمات الصليبية، وتهاوت معاقل الإسلام في الأندلس حتى انطفاء شعلة الحضارة الإسلامية فيها، وتعرضت بلاد المسلمين للهجمات الصليبية [4].

ولن نغرق في الحديث عن هذه الأوضاع والظروف التي رافقت نهضة اليمن إبان الحكم الرسولي لاسيما النهضة العلمية، لأن ما يعنينا هنا هو الظروف التي هيأت لازدهار الحياة العلمية في اليمن إبان العصر الرسولي، بداية من اهتمام الملوك بالعلم وإنفاقهم عليه، وصولاً إلى الحديث عن مدرسة سلامة (المؤيدية) بوصفها أنموذجاً لاهتمام الأمراء – لاسيما النساء– بالعلم وإنفاقهم عليه.

وسيتم هذا التناول من خلال الحديث عن الوقفية الغسانية التي تقدم معلومات غزيرة عن الأوقاف العلمية باليمن في العصر الرسولي فضلاً عن إشارات مهمة عن النظم التعليمية والحياة اليومية لمنتسبي هذه المدارس.

والوقف لا شك أنه وسيلة من وسائل إعادة التوازن بين فئات المجتمع وطبقاته الاقتصادية، فهو يعيد توزيع الثروة من جديد على شكل خدمات يقدمها الأغنياء لمجتمعاتهم.

وتقوم هذه الدراسة بتقديم أنموذجٍ لهذه الأوقاف العلمية في العصر الرسولي التي شملت معظم مدن الجزيرة العربية بالتركيز على مدرسة سلامة (المؤيدية) في تعز، من خلال معرفة دوافع هذه الأوقاف، ومقادير الإنفاق عليها سواء في التشييد والصيانة أم في توفير الخدمات للمدرسة والقائمين عليها أم في تسيير العملية التعليمية من مرتبات للمعلمين وكفالة للطلبة، إلى غير ذلك من أوجه الإنفاق والنظام التعليمي في هذه المدرسة.

مسوغات وقفية مدرسة سلامة (المؤيدية):

تصدرت مسوغات الأوقاف في العصر الرسولي وثائق الوقفيات، إذ تستهل وثيقة الوقفية بالبواعث التي حملت الواقف على وتقديم الأموال والأراضي والدور، وكان البعد الديني واضحاً في هذه الوقفيات من ابتغاء الثواب عند الله تعالى.

ومسوغات بناء مدرسة سلامة (المؤيدية) وإجراء الأوقاف عليها لا تختلف عن مسوغات غيرها من أوقاف المدارس الرسولية الأخرى، فالوقفية تهدف منها– كما هو واضح في مقدمة الوقفية– إلى ابتغاء الأجر والثواب عند الله تعالى، وهو ما يؤكده النص الذي تَصدَّر الوقفية إذ يقول:" فإنه لما كان الوقف من القُرَب المندوب إليها والطاعات المحثوث عليها، وكان لا يلحق العبد بعد موته من الأعمال الصالحة إلاّ إحدى ثلاث خصال صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له، ولما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ (أنه) أتى النبي ﷺ وكان قد ملك مئة سهم من خيبر، فقال: يا نبي الله إني قد أصبت مالاً لم أصب مثله، وإني أريد أن أتقرب إلى الله عز وجل، فقال: "احبس الأصل وسبل الثمر، ولما روي أن النبي ﷺ قال: من بنا مسجداً لله ولو كمفحص قطاة بني الله له بيتاً في الجنة"[5].

بل إن وقفية مدرسة سلامة (المؤيدية) بيَّنت بوضوح المسوغات الخاصة لهذا الوقف، إذ قالت: "فأرادت أن تتقرب إلى الله تعالى بقربة تدفع عنها السيئات، صدقة جارية على مر الأيام والساعات" [6].

ولا شك أن ثمة أهدافاً أخرى للوقف على المدارس إلى جانب هذه الأهداف الأُخروية، مثل الرغبة في الشهرة والتباهي، خصوصاً أن هذه الأعمال أصبحت مجالاً للتنافس بين الأمراء والأميرات من بني رسول، ناهيك عن الحاجة إلى بناء مثل هذه المؤسسات التعليمية لغرض تثبيت مذهب الدولة الذي يعد وسيلة لتثبيت سلطان بني رسول، ومؤشراً للولاء للدولة الرسولية، وصولاً إلى توحيد الهوية الفكرية للمجتمع، وإذا ما أضفنا إلى ذلك المساهمة في توفير الحاجات التعليمية للمجتمع، فإن أهداف الأوقاف تتضح، لكن مع هذا كله يبقى الهدف الديني التعبدي أكثر هذه الأهداف وضوحاً ودافعية للأوقاف في العصر الرسولي.

الواقف:

تنسب المدرسة المؤيدية للملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول الذي حكم اليمن بين سنتي 696-721هـ، لكن لا يعني هذا أن مؤسسها والواقف عليها هو الملك المؤيد، فقد أسست هذه المدرسة إحدى حفيدات الملك المؤيد من ولده الملك المجاهد، وتدعى سلامة، ولذلك تسمى هذه المدرسة بمدرسة سلامة تمييزاً لها عن المدرسة المؤيدية التي بناها الملك المؤيد.

والواقع إن ذكر اسم (سلامة) ورد بعد ذكر النسبة إلى الطواشي جمال الدين مرشد المجاهدي، ولا ندري هل سلامة هذا هو اسم الطواشي أمْ هو اسم الأميرة صاحبة المدرسة؟

والحق أن ثمة اعتقاداً سائداً ربما وقعتُ في أسره للوهلة الأولى، وهو أن بني رسول كانوا يخفون أسماء نسائهم الأعلام، ويستبدلونها بالنسبة إلى غلمانهن، أو ما يمكن أن نطلق عليهم – بلغة العصر – مديري أعمالهن، مثل جهة معتب، وجهة الطواشي جمال الدين، إلاّ أنه بعد تحقيق هذا الأمر في عدد من وثائق الوقفية الغسانية، للتأكد من دلالة الاسم (سلامة)، فوجئت بأن هذه الوثائق تذكر أسماء بعض نساء بني رسول صراحةً دون كنايات. وبمقارنة النص الذي أورد اسم الطواشي جمال الدين مع نصوص أخرى أوردت أسماء بعض هؤلاء المساعدين تبيَّن أن هذه الأسماء تتوقف عند النسبة إلى الملك الذي يقومون بخدمته، مثل "جهة معتب الأشرفي[7]، وهو يتساوى في النسبة مع جمال الدين مرشد المجاهدي، فالأشرفي، والمجاهدي هي النسبة وليس بعد النسبة اسم، فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن عدداً من نساء بني رسول قد وردت أسماؤهن الأعلام مثل الأميرة زينب بنت الأمير أسد الدين محمد بن الحسين ابن علي بن رسول [8]، وعلى ذلك نرجح أن يكون (سلامة) اسم الأميرة ابنة الملك المجاهد صاحبة الوقف.

ومن هنا فيمكن القول أن صاحبة الوقف هي الأميرة سلامة بغض النظر عن وصف المدرسة بالمؤيدية، ولذلك فقد اخترنا في تسمية المدرسة تقديم اسم (سلامة) على اسم (المؤيدية) خلافاً لورود اسمها في الوقفية، وهو الأمر الذي سبقنا إلية القاضي الأكوع في المدارس الإسلامية في اليمن.

ولعل عبارة "الناس على دين ملوكها" تصدق هنا إلى حدٍ كبير، فقد بدأ الأمراء الرسوليون يقلدون آباءهم[9] وأجدادهم في توجهاتهم العلمية، وينافسونهم في إنشاء المؤسسات التعليمية والإنفاق عليها ثم ما لبث أن قلدهم في ذلك عامة الناس من ذوي اليسار وسعة ذات اليد.

ونحن في الحقيقة لا ندري ما هو سر تسمية هذه المدرسة بالمؤيدية بالرغم من أن التي بنتها هي الأميرة سلامة بنت الملك المجاهد، فهل كان ذلك إحياءً لذكرى جدها؟ أم هو لوجود تشابه بين المدرستين؟ أم أنه حدث خطأ في نقل الوثيقة فأضيف لفظ المؤيدية إلى مدرسة سلامة؟ وعلى أية حال يظل سؤالاً مفتوحاً لعل الدراسات القادمة تجد له إجابة.

التعريف بالمدرسة المؤيدية (مدرسة سلامة):

ثمة مدرستان تعرفان بهذا الاسم هما: المدرسة المؤيدية التي أنشأها الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول (696 – 721) هـ، في حافة (القماطين)[10] من مغربة تعز سنة 672هـ[11] وهي المدرسة المؤيدية الكبيرة، والأخرى المدرسة المؤيدية المعروفة بمدرسة سلامة، لأن مؤسسها والواقفة عليها

هي سلامة بنت الملك المجاهد علي بن الملك المؤيد داود، فنسبت إليها، لكنها ترد في الوقفية الغسانية باسم المدرسة المؤيدية، وهي متأخرة في بنائها عن المؤيدية الكبرى بما يقرب من مئة عام، ففي حين بنيت المؤيدية الكبرى سنة 672هـ [12] لم تكن مدرسة سلامة (المؤيدية) قد بنيت إلاّ في سنة 767 هـ [13].

موقع المدرسة:

تقع مدرسة سلامة (المؤيدية) في (مغربة تعز)[14] بين حصن تعز (قلعة القاهرة) و(جبل صبر)[15]. يفصل بينها وبين حصن تعز الطريق الذي لا يزال مستخدماً حتى الآن، ويبدو أن عوادي الزمن قد أتت على المدرسة خصوصاً أن موقعها قريب من مجرى السيول التي تنحدر من جبل صبر باتجاه مدينة تعز، وهذا التأثير واضح من خلال معاينة موقع المدرسة بعد الزيارة التي قام بها الباحث للمدرسة، فهي موجودة في موقع شديد الانحدار، وهو ما تؤكده أشارة الوقفية إلى الموقع، من خلال تأكيد الواقفة أهمية صيانة المدرسة من جراء السيول، وفيما يلي نص ذلك:" وإصلاح ما تشعَّث من ذلك ومما حدث بالمدرسة المذكورة من هذه السيول من ضرر واندفعت إليها حجارة يمكن زوالها. . إلى أن تقول: وإن حالت (السائلة)[16] عليها والعياذ بالله ولم يكن إصلاحها أبداً جمع الناظر بأمرها غلل الوقف وبنى بها مسجداً على صفتها وهيئة بنيانها في مكان آخر لا يصله ضرر السوايل إن أمكن بأقرب الأماكن إليها" [17].

مرافق المدرسة:

اشتملت المدرسة المؤيدية في بنائها على عدد من المرافق التي يودي كل منها وظيفة سواء كانت وظائف تعليمية مثل القاعات الدراسية (الإيوانات) أو وظائف التعبدية تتمثل في إقامة الصلوات الخمس وصلاة النوافل وتلاوة القرآن والاعتكاف وغيرها، ويتمثل بالمسجد الذي كانت تخصص له أكبر قاعات المدرسة وتظله أكبر قبابها، أو الوظائف الخدمية التي اشتملت على المطاهير وأحواض الماء، والمغتسلات ومخازن الأثاث والمؤن، والممرات والدهاليز، والأروقة، وغيرها، أو المرافق الخاصة التي اختصت بها الواقفة نفسها وأهل بيتها، وتتمثل بالمقابر التي خصص لها جزء من الدور الأرضي في المدرسة.

ولندع الوقفية تنقل لنا صورة بناء المدرسة، فقد قدمت لها وصفاً دقيقاً حددت فيه المرفق، وموضعه من المدرسة، والوظيفة التي خصص لها، إذ تقول:" (مقدم قبلي)[18] ذو محراب سقفه بثلاث قبب معقود بأحرف طين، وفي المقدم المذكور خمسة شبابيك حديد أربعة قبلية وشباك غربي، وللمقدم المذكور أربعة أبواب، باب إلى الإيوان الغربي الذي طوله عشرة أذرع وعرضه ستة أذرع، له بابان أحدهما من المجلس ذي المحراب وبابان إلى المجاز الذي هو يماني المقدم، وبهذا المجاز ثلاثة عقود إلى القاعة، والباب الرابع للمقدم مفتحه على مجاز شرقي فيه ثلاثة عقود شرقيان وقبلي، سقف الإيوانين الشرقي و(اليماني)[19] بخشب وحوابي و(صحف)[20]، والإيوان الغربي الذي طوله عشرة أذرع وعرضه ستة أذرع له بابان مفتحه إلى المجاز يماني المقدم المذكور، وفي القاعة بابان أحدهما إلى مجاز فيه مطهاران ومغتسل شرقي القاعة المذكورة، والآخر إلى المجاز اليماني المسلوك إلى الدهليز، وفي القاعة بركة لها أربعة أركان، وغربي المجاز المذكور درجة يصعد بها إلى مجلس غربي القاعة، ودرجة على سقوف المدرسة المذكورة، ثم يخرج من المجاز إلى دهليز فيه إيوانان شرقي وغربي سقوفهما بخشب وصحف، وأربعة محاريب أسفل المدرسة، محرابان قبليان ومحرابان شرقيان، وباب المدرسة الجامع البراني هو غربي نافذ إلى الأبواب المذكورة أولاً"[21].

وظائف مرافق المدرسة:

يمكن تقسيم مرافق المدرسة المؤيدية الصغرى (سلامة) حسب الوظائف التي تؤديها هذه المرافق، ولذلك سنتحدث عن المرافق التعليمية، والمرافق التعبدية، والمرافق الخدمية.

1- المرافق التعليمية:

من المسلم به أن مدرسة سلامة قد صممت منذ البداية بوصفها مدرسة تقوم بوظائف تعليمية، وأن الوظائف الأخرى استحدثت لخدمة المنتسبين إلى المدرسة من معلمين ومتعلمين، ومن ينتفع بالمدرسة من المجاورين والزائرين، ولذلك فمن الطبيعي أن تشتمل المدرسة على المرافق التعليمية، بل وتكون هي المرافق الرئيسية فيها.

ومن خلال نص وقفية مدرسة سلامة فإن المدرسة قد ضمت عدداً من المرافق التعليمية، لعل أهمها قاعات الدرس التي عرفت بالإيوانات والمجالس، وتشير الوثيقة إلى أن مدرسة سلامة (المؤيدية) قد اشتملت على ثلاثة إيوانات موزعة على جهات المدرسة الثلاث، أولهم في الجهة الغربية من المدرسة، ويبدو أنه أكبرهم إذ يبلغ طوله عشرة أذرع وعرضه ستة أذرع[22] والإيوان الثاني في الجانب الشرقي من المدرسة، والثالث في الجهة الجنوبية (اليمانية) من المدرسة، أما جهتها الشمالية (القبلية) فكانت مشغولة بمقدم المدرسة الذي اشتمل على محراب المسجد، ويبدو أن المسجد قد امتد من وسط المدرسة حتى شمالها.

وصممت مجالس الدرس أو الإيوانات لتكون مهيئة بوصفها قاعات دراسية من حيث التهوية والإضاءة، من خلال الأبواب والنوافذ المتعددة لكل قاعة (إيوان) من هذه القاعات.

ومن الواضح أن القاعات الدراسية في مدرسة سلامة (المجاهدية) اقتصرت على الوظائف التعليمية فقط، بخلاف كثير من المدارس الرسولية الأخرى التي كانت تستخدم قاعات الدرس في غير أوقات الدراسة للأغراض الأخرى مثل النوم والجلوس، والسبب في ذلك أن وقف المدرسة قد اشتمل على عدد من البيوت إلى جانب المدرسة خصصت لنوم القائمين على المدرسة وجلوسهم، وهو ما تقدمه لنا وثيقة المدرسة إذ تقول:" جميع البيوت المذكورة التي أنشاؤها بين الحائطين جعلوها سكناً لمن احتاج إلى السكنى من مرتبي المدرسة كالإمام والمؤذن المستمر بها والمعلم المستمر بها والمقيم بها"[23].

المرافق التعبدية:

اشتملت مدرسة سلامة (المؤيدية) مثل غيرها من المدارس الرسولية على المسجد، وما أرفق به من محاريب وقباب، وكان المسجد يأخذ موقعه في قلب المدرسة، تعلوه أكبر قباب المدرسة، وكان دور المسجد يطغى أحياناً على دور المدرسة، بالرغم من أنه أحد مرافقها،

وهو الدور الذي لا يزال قائماً إلى الآن في بعض هذه المدارس مثل الأشرفية والمظفرية والمعتبية، وغيرها من المدارس الرسولية التي بقيت إلى الآن في اليمن، فهذه المدارس تعرف الآن على أنها مساجد.

المرافق الخدمية

اشتملت مدرسة سلامة (المؤيدية) على عددٍ من المرافق الخدمية هُيِّأت بها المدرسة لتوفير أسباب الإقامة الطيبة للمرتبين فيها ولخدمة المترددين عليها من المصلين، ولعل أهم هذه المرافق منظومة الصرف الصحي

والنظافة من مطاهير، وبيوت راحة، وأحواض، وخزانات مياه (البِرْكة)، ومغتسلات، وقنوات إيصال الماء إلى المدرسة وأخرى لتصريفه عنها، إلى جانب مخازن الأثاث، والقباب الكثيرة التي لا شك أنه كان لها وظيفة، فهي إلى جانب أنها تنطوي على السكينة والخضوع والاستسلام لله تعالى، كما هي دلالتها الروحية، كانت تقوم بوظيفة تكبير الصوت في المدرسة وفي المسجد، سواء في قاعات الدرس أم في الأذان أم في الصلوات الجهرية، والمطبخ الذي يشي بأن القائمين على المدرسة وتلاميذهم وغيرهم من المنتسبين إلى المدرسة مثل الأيتام كانوا يتناولون طعامهم في المدرسة، فضلاً عن الأروقة والممرات، والسلالم (الدرج) والدهاليز، وغيرها من متنفسات المدرسة من(الحوائط)[24] والأفنية [25].

إضافة إلى هذه المرافق الخدمية التي اشتملت عليها المدرسة كانت ثمة مرافق أخرى خارج المدرسة تقدم نوعاً آخر من الخدمات للمدرسة، نعني بذلك البيوت التي أوقفتها الأميرة سلامة بنت المجاهد سكناً للمنتسبين إلى المدرسة، وربما كانت متاحة لضيوف المدرسة القادمين إليها من خارج تعز، وكان السكن في هذه البيوت يخضع لنظام خاص حددته الواقفة كما ورد في الوقفية، فهو للمدرسين والعاملين بالمدرسة والقائمين على المسجد من أمام ومؤذن، إذا احتاجوا للسكن، وإن لم يحتاجوا فلا يحق لهم احتكاره، أو تأجيره أو إحلال أحداً من قرابتهم فيه بدلاً عنهم.

كل هذه المرافق وجدت لوظائف محددة هدفت منها الواقفة إلى تهيئة الظروف المناسبة للعملية التعليمية والتعبدية في المدرسة.

المقابر:

حرص بنو رسول على أن يُدفنوا بجوار مدارسهم التي أسسوها، فكانوا لذلك يخصصون جزءاً من المدرسة لقبورهم، وعادة ما تكون هذه القبور في الأجزاء السفلى من المدرسة، وقد هدفوا في الغالب من ذلك تخليد ذكراهم وتذكير رواد المدرسة بدورهم في بناء هذه المدارس فيدعون لهم، إلى جانب استئناسهم بالأجواء الروحانية التي تفيض من حلق العلم في هذه المدارس.

والحق أن مؤسِّسة مدرسة سلامة قد حرصت على هذا الأمر، وأكدت عليه في وقفيتها، فاستثنت من وقفية المدرسة جزء ليكون مقبرة لها ولبعض أفراد عائلتها، إذ تقول:" جميع هذه الأبنية المذكورة الموصوفة المحدودة، إلاّ الإيوان الصغير الغربي الذي طوله عشرة أذرع وعرضه ستة أذرع فإنه باق على ملكهم للدفن بعد العمر الطويل [26].

أثاث ومستلزمات المدرسة:

أثثت مدرسة سلامة (المؤيدية) مثل غيرها من المدارس الرسولية ببعض المستلزمات الضرورية للإقامة ولقيام العملية التعليمية والتعبدية فيها، مثل البسط والفرش والأقمشة والمصابيح وما تحتاج إليه من (زيوت)[27]، إلى جانب (الشمع)[28] والطيب الذي يكثر حضوره في المناسبات الدينية التي كان بنو رسول يحتفلون بها مثل جمعة رجب وليلة النصف من شعبان وليلة السابع والعشرين من رمضان وعند ختم المصحف الشريف، وفي غيرها من المناسبات، فضلاً عن أدوات النظافة من قطن ومكانس وغيرها [29].

ويبدو أن هذه المستلزمات كانت تجدد كلما بليت أو أتلفت أو نفدت بحسب طبيعتها من وقف المدرسة.

العاملون بالمدرسة والمنتسبون إليها:

مما لا شك فيه أن مدرسة سلامة مثل غيرها من المدارس الرسولية التي كانت تؤدي وظيفة تعليمية وتربوية، قد اشتملت على عدد من المعلمين والعلماء في بعض العلوم الدينية، لأن الغالب على هذه المدارس هو الاهتمامات الدينية، فوجد معلم الصبية والأيتام، والمحدث، والمقرئ، إلى جانب إمام المسجد والمؤذن، والقيّم، والعمال [30]، ويشرف على هؤلاء جميعاً ناظر المدرسة [31].

ومما يميز مدرسة سلامة أن الواقفة أكدت منع الازدواج الوظيفي في المدرسة، وربما هدفت من ذلك إلى تجويد التعليم والخدمات بها بتحقيق التخصص الوظيفي، إلى جانب تحقيق أقصى درجة من الكفالة الاجتماعية.

وإذا ما أردنا ترتيب العاملين بالمدرسة وأوقافها حسب أهمية الدوار الذي يقومون به، فإنهم سيكونون على النحو التالي:

النائب:

المقصود بالنائب الشخص الذي ينوب عن الواقف في إدارة الوقف إذا انشغل الواقف عن إدارة الوقف بأي شاغل، فهو الذي يشرف على بناء المدرسة، بدايةً باختيار الموقع المناسب وما يتبعه من بناء وتأثيث وغير ذلك، ثم يتعهد المدرسة بالترميم والإصلاح، إلى جانب الإشراف على أراضي الوقف استصلاحاً وحرثاً وصيانةً وتأجيراً وجباية لما تخرجه هذه الأرض، وانتهاءً بصرف مرتبات العاملين في المدرسة وفي أوقافها، ولذلك ويشترط فيه الأمانة والكفاءة، ويمكن القول إنه مشرف عام على المدرسة وأوقافها، ومفوض في التصرف بما يرى فيه مصلحة للمدرسة وأوقافها [32].

الناظر:

هو الذي يختص بالإشراف على العملية التعليمية والخدمات في المدرسة، وربما جاءت كلمة ناظر المستخدمة إلى الآن في بعض البلدان العربية للدلالة على المشرف على المدرسة من هذا الأصل، والناظر غير النائب، لأن اختصاص النائب الإشراف على أوقاف المدرسة من أراضٍ ودور وغيرها، وتحصيل موارد هذه الأوقاف وصرفها في مصارفها التي حددتها الواقفة.

وقد يحدث أحياناً تداخل في العلاقة بين الناظر والنائب في المهام التي يقوم كل منهما بها، وكذا في العلاقة الوظيفية، بمعنى تبعية بعضهما للآخر، والذي يرجح أن كلاً من النائب والناظر يعينان من قبل الواقف، أو بواسطة القاضي إذا توفي الواقف، كما يبدو أن لكل منهما اختصاصات محددة، فمن خلال الوثائق الوقفية يتضح أن وظيفة الناظر تحدد في الإشراف على العملية التعليمية والتعبدية في المدرسة، وتهيئة الظروف المناسبة لذلك، فيما تشتمل مهام النائب على الإشراف العام على المدرسة، وأوقافها من عمارة المدرسة واستصلاح الأراضي، وإصلاح ما تلف منها، وتأجير هذه الأوقاف، وتحصيل ما تخرجه من أموال أو ثمار، وتوزيع مرتبات العاملين بالمدرسة بما ابتداءً به ثم بالنظر، وعلى ذلك فإن النائب هو المسئول الأول في المدرسة وعلى أوقافها وليس نائباً للناظر، بل على العكس من ذلك فهو مسئول عن الناظر.

القيِّم:

جرت العادة على أن يُكلف أحدٌ من الناس بالقيام بشئون المدرسة، فيتولى مسئولية فتحها للمتعليمن، وقفلها بعد صلاة العشاء، ويقوم بأمر نظافة مرافقها خصوصاً مرافق الطهارة والاستنجاء وتنظيف قاع البركة التي يخزن بها الماء من الأتربة والطحالب، إلى جانب تعهد الإيوانات والأروقة والقاعات والدهاليز وغيرها من مرافق المدرسة بالتنظيف والترتيب، فضلاً عن حفظ أثاث المدرسة وأدوات الإضاءة من قناديل وزيوت وشموع وغيرها وإضاءتها عند الحاجة، وتطييب المدرسة ومسجدها في الجُمَعْ وفي المناسبات الدينية المختلفة إذ تقول الوقفية:" وإلى قيم يتولى تنظيف المدرسة المذكورة ومواضع الصلاة وجميع المواضع المذكورة من البركة والمطاهير والمغتسل ويحفظ آلة المدرسة المذكورة من الفرش والقناديل والسليط والبسط وغيرها، ويتولى فتح البركة عند تغيير مائها وغسل وإزالة (الحمأة)[33] والطحلب المجتمع فيها، ويتولى إشعال المصابيح والقناديل أول الليل وآخره وإطفاء ذلك عند الاستغناء عنه، وفي الليالي التي جرت العادة بها كالرجبية والشعبانية وليلة ختم القرآن العظيم في شهر رمضان[34]"، ومع ذلك فهو يحرس المكتبة ويحفظها من الدواب والهوام، وغير ذلك مما لا يليق دخوله المدرسة والمسجد مثل المجانين [35].

هيئة التدريس:

اقتصرت هيئة التدريس في مدرسة سلامة على محدِّث، ومعلِّم للأيتام [36]، في حين لم تنص الوقفية على اعتماد فقيه للمدرسة، وهذا ربما يشير إلى أن المدرسة لم تكن بحجم المدارس الملكية التي كانت تسعى لتثبيت المذهب الفقهي للدولة رغبةً في توحيد الهوية الفكرية للدولة، ومع ذلك تشير بعض المصادر إلى أن بعض الفقهاء قد استقدموا إلى المدرسة في فترات لاحقة ودرسوا بها.

المحدِّث:

هو الذي يروي أحاديث النبي ﷺ، التي تعد السنة القولية، ومعلوم أن الحديث النبوي الشريف بدأ تدوينه في مرحلة متأخرة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم منع تدوين الحديث حتى لا يختلط بالقرآن، لكن بعد ذلك دُوِّن الحديث، واتبع علماؤه في تدوينه واستقصائه وتمحيصه أقصى درجات الدقة.

وقد شهد العصر الرسولي اهتماماً كبيراً بالحديث النبوي الشريف لاسيما أن الرسوليين ورثوا في اليمن تركة ثقيلة من الإسماعيلية وغيرهم، فكان لا بد من توطيد السنة وتدريس الحديث النبوي الشريف.

وقد تنوعت الكتب والمقررا ت التي تدرس هذه العلم، فكان أهمها كتب الحديث المعروفة مثل صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، بالإضافة إلى الكتب التي وضعها محدثو اليمن في العصر الرسولي التي كان منها (الأربعين في الأذكار والأدعية) لمحمد بن عبد الله الحارثي (694هـ / 1294م) وكتاب (حديث الأذهان في شرح أحاديث فضل الأخلاق والإحسان) لمحمد بن موسى الذؤالي (790هـ / 1388م) [37].

ومدرسة سلامة (المؤيدية) مثل غيرها من المدارس الرسولية اهتمت بتدريس الحديث الشريف، وخصصت له مدرساً جيداً متمكناً من تخصصه، متقناً لعلم الرواية والدراية، ملماً بعلم بالجرح والتعديل، والأسانيد، وما يتعلق بهذا العلم، واشترطت فيه الواقفة أيضاً إلمامه بقواعد اللغة العربية [38]، وكان يوكل إليه الإشراف على مكتبة المدرسة، وتعهد كتبها بالحفظ والترقيع والعناية [39].

معلم الأيتام:

كانت المدارس الرسولية تجمع على جانب اهتماماتها العلمية والكفالة الاجتماعية، جرت العادة على أن تخصص المدارس عدداً من مقاعد الدراسة فيها لبعض الأيتام، ويخصص لهم معلم يتولى تعليمهم أساسيات القراءة والكتابة والقرآن الكريم تلاوةً وحفظاً[40]، ويتقاضى على ذلك أجراً من ريع أوقاف المدرسة.

طلبة المدرسة:

إذا كنا قد تحدثنا في السطور السابقة عن العاملين في المدرسة من إدارة للمدرسة وللوقف، وهيئة التدريس والعمال، فإننا في هذا السياق سنتحدث عن أهم شريحة في المدرسة وهي طلبة العلم، على اعتبار أن كل من سبق ذكرهم أتوا من أجل هؤلاء الطلبة، كما أن المدرسة وأوقافها بنيت وخصصت من أجلهم.

الأيتام:

حظي الأيتام باهتمام كبير من قبل الدولة الرسولية، ونالوا حظاً وافراً في أوقافها العلمية، فلا تكاد تخلو مدرسة رسولية من مجموعة من الأيتام.

وقد اشتملت مدرسة سلامة (المؤيدية) على خمسة من الأيتام خصص لهم معلمٌ يعلمهم القرآن الكريم وقواعد القراءة والكتابة، وهو ما يتضح من هذا النص، حيث يقول: " وعلى معلم يتولى تعليم خمسة أيتام القرآن الكريم تلقيناً وحفظاً "[41].

وينبغي الإشارة إلى أننا لم نعثر في الوقفية على ما يشير إلى وجود طلبة آخرين غير الأيتام في المدرسة، بالرغم من أن الوثيقة تنصُ على تخصيص مدرس يتولى قراءة الحديث، كما أنها لم تشتمل على طلبة لتلقي الفقه بالرغم من وجود بعض الإشارات إلى أن بعض الفقهاء قد عملوا بالمدرسة [42].

والحق أننا لا نجد ما يسوّغ ذلك الغياب لهذه التخصصات التي لا تكاد تخلو منها أية مدرسة رسولية، خصوصاً مع توجه الدولة بإنشاء هذه المدارس إلى تكريس المذهب الشافعي، ونشر فقهه، وقد يكون الأمر راجعاً إلى قلة الإمكانيات التي سخرت لهذه المدرسة لاسيما أنها من المدارس التي قامت على نفقات أشخاص بإمكانياتهم المحدودة، وغلب عليها الجانب الديني والرغبة في الجزاء الأخروي على الأهداف السياسية والمذهبية.

وللتوفيق بين خلو وقفية المدرسة من طلبة للحديث وطلبة ومعلم للفقه وعمل بعض الفقهاء بها أمثال الفقيه جمال الدين العودي[43]، نرجح أنَّ تدريس الفقه بهذه المدرسة ربما بدأ في مراحل لاحقة، بعد كتابة الوقفية، فأضيفت هذه التخصصات إلى المدرسة.

القائمون على المسجد:

كان من ضمن العاملين بمدرسة سلامة (المؤيدية) إمام ومؤذن للصلاة، وكان يتم اختيارهما وفق شروط محددة تضمن تأديتهما لوظيفتيهما بكفاءة ودقة، فكان يشترط في إمام الصلاة بمسجد المدرسة الصلاح والتقوى، ومع حفظه للقرآن الكريم عن ظهر قلب، غير مجروح في عدالته ولا مشكوك في دينه، يلزم المسجد في ليصلي بالناس الصلوات الخمس، وغيرها من الصلوات مثل صلاة التراويح، والتهجد، وصلاة الكسوف،

والخسوف، وغيرها من الصلوات، نظيفاً حسن المظهر، وأضيف إلى الإمام تعليم الوضوء من لا يجيده. [44]

وخصصت الواقفة لمسجد المدرسة مؤذناً مهمته رفع الأذان في أوقات الصلاة، واشترط فيه أن يكون حسن الصوت متقناً للأذان دقيقاً في تحديد أوقات الصلاة [45].

موارد الوقف:

غلبت الأراضي الزراعية على أوقاف الدولة الرسولية، وربما هدف بنو رسول من ذلك إلى استمرار هذه المؤسسات التعليمية باستمرار أوقافها، لأن الأرض هي من أكثر الموال ثباتاً وديمومة، وأوقاف مدرسة سلامة (المؤيدية) هي في غالبيتها أراضٍ زراعية، إلى جانب بعض الدور والحوائط (البساتين) التي كانت تحيط بالمدرسة.

وإذا ما قارنَّا حجم أوقاف مدرسة سلامة (المؤيدية) بغيرها من المدارس الرسولية الكبرى التي أسسها الملوك، فسنجدها تتضاءل أمامها، لكنها مع ذلك كانت أوقافاً لا بأس بها، بمعنى أنها تفي بالأغراض التي أوقفت من أجلها، خاصة إذا ما قارنا ذلك بحجم المدرسة وعدد المنتسبين إليها من الطلبة، والمرتبين فيها من علماء ومدرسين، وما تحتاجه من صيانة وأثاث وتموين ومرتبات.

وتقدم وثيقة مدرسة سلامة (المؤيدية) حصراً للأراضي التي أوقفتها سلامة بنت الملك المجاهد على هذه المدرسة، ويبدو من نص الوقفية أنها أوقفت على المدرسة كل ما تملك من أراضٍ.

ولا يتسع بنا المقام هنا لإيراد كل هذه الأوقاف، ولكن سنشير إلى المناطق التي اشتملت على هذه الأوقاف، فقد أوقفت أراضي كثيرة في (الشعبانية)[46]، وفي (حصبان)[47]، و(أنبيان)[48] من جبل صبر، إلى جانب بعض الأراضي بمغربة تعز، ناهيك عن عدد من الدور التي أوقفت لخدمة المدرسة والمنتسبين إليها[49].

وحرصاً من الواقفة على استمرار المدرسة في أداء دورها التعليمي والتعبدي، وإدراكاً منها أن ذلك مرهون ببقاء الموارد اللازمة لتسيير العملية التعليمية في المدرسة، وهي أرض الوقف، وضعت بعض الترتيبات والشروط لتأجير واستثمار هذه الأرض، لعل أهمها إسنادها إلى أناس من ذوي التقوى والكفاءة والأمانة[50]، ثم تحديد مدة إيجار الأرض على المنتفعين بسنة واحدة [51]، حتى لا يتملكها هؤلاء المنتفعون فتضيع مع مرور الزمن.

مصارف الوقف:

نصت وثيقة مدرسة سلامة على أوجه صرف ريع وقف المدرسة، وكانت هذه المصارف منها ما خصص لبناء المدرسة، وزخرفتها وتجهيزها بما بما تحتاجه العملية التعليمية، من أقمشة وفرش وبسط ووسائل إضاءة وأدوات طهي وغيرها، وإيصال الماء إليها عبر القنوات، ومنها ما وجّه لصيانة المدرسة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، بما في ذلك إعادة بناء المدرسة إذا أتت عليها السيول أول غير ذلك من عوادي الزمن، ومنها ما أفرد لصيانة أرض الوقف، بما في ذلك استصلاحها وبناء جدرانها وإيصال قنوات الري إليها، وغير ذلك مما يلحق بها.

الإنفاق على بناء وصيانة المدرسة وتجهيزها:

أولاً- الإنفاق على البناء:

يبدأ الإنفاق على المدرسة في إيجاد البنية الأساسية، من توفير الأرض التي أقيمت عليها المدرسة، وما يتبع ذلك البناء وما يتطلبه من مواد وأجور عمال، وغير ذلك.

وقد خصصت واقفة مدرسة سلامة جزءً كبيراً من عائدات الوقف لبناء المدرسة، ولصيانتها وحمايتها من السيول، حتى لو تطلب المر إعادة بنائها من جديد، وهو ما نلحظه في النص الآتي:" ويصرف الناظر منه (عائد الوقف) إلى عمارة المدرسة المذكورة وأبنيتها وحيطانها. .. وإصلاح ما تشعث من ذلك وما حدث بالمدرسة المذكورة من هذه السيول من ضرر واندفعت إليها حجارة يمكن زوالها... وإن حالت السائلة عليها والعياذ بالله تعالى لم يكن إصلاحها أبجاً جمع الناظر بأمرها غلل الوقف وبنى بها مسجداً على صفتها وهيئة بنيانها في مكان لا يصله ضرر السوايل، إن أمكن في أقرب الأماكن إليها "[52].

ثانياً- الإنفاق على الصيانة:

كان من أولويات مصارف الوقف كما حددته الواقفة الإنفاق على الصيانة، وهو ينقسم إلى قسمين، أولهما صيانة المدرسة، وثانيهما صيانة أرض الوقف.

أولت الواقفة صيانة المدرسة جل اهتمامها وكان من ذلك الاهتمام أن أوصت في وثيقة المدرسة على هذا الأمر وشددت عليه، وهو أمر يؤكد حرصها على استمرار المدرسة تؤدي وظيفتها التعليمية، وفي الوقت ذاته استمرار هذه الصدقة الجارية التي تدر عليها الثواب بعد موتها، وهو ما يشير إليه هذا النص إذ يقول:" ويصرف الناظر في كل سنة على إصلاح ما تشعث من ذلك ولما حدث بالمدرسة المذكورة من هذه السيول من ضرر واندفعت إليها حجارة يمكن زوالها وهي باقية فأول ما يقوم به الناظر بأمرها أن يسعى بإصلاحها ويصرف على إصلاحها من المتحصل بقدر الكفاية"[53].

وقد كانت هذه الصيانة تتم بشكل دوري من خلال تخصيص ميزانية سنوية لهذا الأمر، وفي حالة حاجة المدرسة لإعادة البناء لأي سبب من الأسباب يقوم الناظر بذلك من وقف المدرسة،" وإن حالت السائلة عليها والعياذ بالله تعالى ولم يكن إصلاحها أبداً جمع الناظر بأمرها غلل الوقف وبنى بها مسجداً على صفتها وهيئة بنائها في مكان لا يصله ضرر السوايل "[54]

- صيانة أرض الوقف:

أولى الرسوليون اهتماماً كبيراً بأرض الوقف بوصفها المورد الرئيسي لتسيير العملية التعليمية في المدارس، وغيرها من أوجه الإنفاق، واحتل الإنفاق على صيانة **أرض** الوقف أهمية كبيرة بين مجالات الإنفاق، ويتمثل الإنفاق على صيانة أرض الوقف في استصلاحها، وبناء جدرانها، وإيصال قنوات الري إليها وإصلاح ما تلف منها، وهو ما يؤكده النص التالي إذ يقول: "ويصرف بعد ذلك في عمارة أرض الوقف المذكورة وسواقيها وبركها ومنابع عيون الماء وجميع ما يحتاج إليه "[55].

- إيصال الماء إلى المدرسة:

تضمنت النفقات على مدرسة سلامة نفقات إيصال الماء إليها، لأغراض الطهارة والوضوء والغسل والشرب، فكان ينفق على بناء القنوات التي يمر عبرها الماء إلى المدرسة، وعادة ما يجلب من جبل صبر[56].

ثالثاً- الإنفاق على التأثيث والتجهيز:

1- الإنفاق على التأثيث:

كما خصص جزء من الإنفاق لشراء مستلزمات المدرسة، ابتداءً من توفير الفرش والبسط التي يجلس عليها الطلاب ومعلموهم، أو تلك التي يفرش بها مسجد المدرسة، وقد نصت الوقفية على هذا النوع من الإنفاق في قول الواقفة:" وشراء حصر للمدرسة المذكورة "[57].

2- الإنفاق على التجهيز:

يدخل في نفقات التجهيز أيضاً ما يصرف من مال في شراء مستلزمات المدرسة من إضاءة وتطييب وتوفير الكتب والألواح والحبر وغيره.

أ- الإضاءة:

خصص جزء من وقف المدرسة لإنارتها في الليل، سواء في أوله من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، أو في آخره عند الأذان لصلاة الفجر وأداء الصلاة، والإضاءة تحتاج إلى مصابيح وقناديل و(شموع)[58]، وهذه تحتاج إلى توفير الزيوت والشموع وغيرها، فخصص لهذه الأدوات جزء من وقف مدرسة سلامة (المؤيدية)، وكان الإنفاق يزداد على الإضاءة في المناسبات الدينية العامة، مثل (الرجبية)[59]، و(الشعبانية)[60]، وليلة ختم القرآن، أو المناسبات الخاصة بالمدرسة مثل مناسبات تخرج الطلبة وإتمامهم الدراسة بالمدرسة وغير ذلك من المناسبات، وتشير الوقفية إلى ضرورة تخصيص جزء من عائدات وقف المدرسة للإنفاق على الإضاءة الذي كان ينقسم نوعين من الإنفاق، فهناك اعتمادات دائمة إذ يخصص كل شهر جزءٌ من الوقف لتغطية نفقات الإضاءة.

وثمة مخصصات إضافية للمناسبات التي تزداد فيها كمية وزمن الإضاءة، وهو ما يتضح من خلال نص الوقفية بالقول:" وإلى شراء... سليط للاستصباح فيه على الدوام، وحيث جرت العادة، وفي ليلة صلاة الرغايب وفي شهر رجب وفي صلاة النصف من شعبان ثم لشراء أشمع. ..، فما شرط من السليط الراتب على الدوام في كل شهر لإشعال ستة مصابيح، ثلاثة في المسجد الداخل وواحد في الإيوان الذي هو يماني المسجد وواحد في الدهليز، وواحد في المطاهير، أول الليل وآخره، ويشترى لليلة الرغايب (مَنٌ)[61] واحد من الشمع. ...، وفي ليلة النصف من شعبان مثل ذلك، وفي شهر رمضان سنع شمع زنتها سبعة أمنان يوقد منها ثلاث من أول الشهر إلى ليلة الختمة وتوقد أربع بليلة الختمة المذكورة وعشرة (أزبود)[62] من السليط "[63].

ب- نفقات تطييب المدرسة:

خصص جزء من واردات وقف المدرسة لتوفير بعض المواد الكمالية لتطييب المدرسة، مثل ماء الورد والعود، وسواها من أنواع الطيوب، وكانت تستعمل في المناسبات الدينية، مثل الجُمع والأعياد، وفي ليالي رمضان، وليلة الرغايب، وليلة ختم القرآن، وفي بعض المناسبات الخاصة باليمن مثل الرجبية والشعبانية.

وقد نصت وثيقة مدرسة سلامة على هذا الوجه من الإنفاق، وأكدت أهمية توفيره في المدرسة، وحددت مقاديره بدقة، إذ تقول:" ويشتري ليلة الرغايب من (رطلين) ماء ورد وثلاث أواق عود وبدينارين فحوس، وفي ليلة النصف من شعبان مثل ذلك. .. وفي ليلة الختمة منان ماء ورد وأربع أواقي عود ومن الفحوس بثلاثة دنانير "(64).

أجور العاملين بالمدرسة:

ذهب جزء من إيراد أرض وقف مدرسة سلامة إلى تغطية أجور العاملين بالمدرسة وأوقافها، من نائب وناظر المدرسة والعاملين بالمدرسة من قيّم وإمام الصلاة ومؤذن، وهيئة تدريس وطلبة وأيتام، وسواهم ممن يقدمون خدمات للمدرسة.

وقد أكدت الوقفية منع الازدواج الوظيفي في المدرسة، فالمؤذن لا يجمع إلى وظيفته تعليم الصبية، ويمنع الإمام أن يؤذن أو يعلم الأيتام وهكذا، في قولها:" وشرط موالينا الواقفين المقدم ذكرهم أن لا يجتمع لمرتب فيهما سببان فالقيم لا يكون معلماً ولا قارئ حديث والمؤذن لا يكون معلماً ولا قيماً ولا قارئ حديث والقيم لا يكون مؤذناً، بل ينفرد كل مرتب بوظيفته، وعلى كل واحد منهم المواظبة على ما هو منوط به "(65).

وقد هدفت الوقفية من ذلك إلى تحقيق أقصى درجة من الكفالة الاجتماعية، إلى جانب التأكيد على مبدأ التخصص الوظيفي، وتفرغ العاملين للأعمال التي أوكلت إليهم.

1- النائب:

سبق الحديث عن مهام النائب التي تتمثل في الإشراف على أوقاف المدرسة، بناءً وصيانة واستثماراً وتحصيلاً لما تخرجه الأرض، ثم صرفه بعد ذلك في مصالح المدرسة، وبما أن النائب قد فرّغ لهذا العمل فقد خصصت له الواقفة (سلامة) مرتباً شهرياً بلغ عشرة دنانير.

2- الناظر:

لم أعثر على نص في الوثيقة يحدد مرتب ناظر المدرسة فربما سقط ذلك من الوثيقة سهواً أو أن الواقفة كانت تشرف بنفسها على المدرسة، وعلى كلٍ فيبدو أن مرتب الناظر كان يناظر مرتب النائب.

3- القيّم:

أكدت الواقفة ضرورة تعيين قيّم للمدرسة متفرغ للاهتمام نظافتها وإيصال الماء إليها، والقيام بشتى الخدمات للعاملين فيها والمترددين عليها، وحددت له مرتباً عينياً في الشهر ثلاثين زبدياً، ونقدياً في السنة عشرين ديناراً(66).

4- إمام المسجد

لا تخلو مدرسة رسولية من مسجد، ولا يخلو مسجد من إمام يصلي بالناس الصلوات الخمس، وغيرها من الصلوات، وكان يشترط في الإمام التفرغ لهذا العمل، وفي المقابل خصص له راتب شهري يفي بنفقاته يبلغ خمسين زبدياً فضلاً عن مكافأة سنوية مقدارها ثلاثون ديناراً [67].

5- المؤذن:

أُلحق بمسجد المدرسة مؤذن لرفع الأذان في أوقات الصلوات، وقد مرت معنا الشروط المتوخاة فيه التي كان منها أهمية التفرغ لعمله بمسجد المدرسة، ولذلك فقد فرض له أجر شهري بلغ ثلاثين زبدي، ومكافأ سنوية بلغت عشرين ديناراً تعطى له في شهر رمضان عند ختم القرآن [68].

ويبدو أن لبساً قد حدث في الوثيقة إذ ذكرت أنه كان يأخذ عشرين ديناراً في الشهر، وهذا لا يتفق مع التسلسل الوظيفي في المدرسة، فمرتب المؤذن أقل من مرتب الإمام، وهو واضح فيما يأخذه بالزبدي، وربما منشأ اللبس أن هذه المكافأة النقدية المقدرة بالدينار كانت تعطى في شهر رمضان.

6- أجور هيئة التدريس:

تخلو وثيقة مدرسة سلامة من ذكر أجور أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة باستثناء مرتب معلم الأيتام، وقارئ الحديث النبوي الشريف.

أ- معلم الأيتام:

معلم الأيتام أو معلم الصبية كان أحد أعضاء التدريس في المدرسة الرسولية، ومدرسة (سلامة) اشتملت على هذه الوظيفة ضمن هيئة التدريس فيها، فرتبت معلماً للأيتام متفرغاً لعمله وخصصت له مرتباً شهرياً وآخر سنوياً، فكان يعطى في الشهر خمسين زبدياً، عشرين ديناراً في السنة تعطى عند ختم القرآن الكريم [69] في السابع والعشرين من رمضان.

ب- المحدث:

لم تذكر الوثيقة المحدث بوصفه معلماً للحديث النبوي وعلومه مثل الجرح والتعديل والسند والمتن، بل يقوم بمجرد قراءة الحديث النبوي على جميع المنتسبين إلى المدرسة بعد صلاة العصر، بينما لم تذكر الوثيقة طلبة للحديث، وعلى أية حال فقد كان يعطى لمعلم الحديث عشرة دنانير شهرياً [70].

7- الأيتام:

خصص من ريع الوقف كفالة شهرية وأخرى سنوية لخمسة من الأيتام الذين يدرسون بالمدرسة مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن الكريم، ففرض لكل يتيم عشرة أزبود في الشهر، وخمسة عشر ديناراً في السنة[71].

8- إطعام الفقراء:

أفردت وقفية مدرسة سلامة بنداً خاصاً في مصارف وقف المدرسة لمواساة المترددين عليها من الفقراء والمساكين في حالة زيادة مال الوقف عن حاجة المدرسة، إذ تقول: "ثم ما فضل بعد ذلك زيادة على ما ذكرنا صرف الناظر في كل ليلة دينارين من نقد البلد واشترى بها خبزاً وتصدق به في مدرستهم على الفقراء والمساكين"[72]، وهو ما يمكن أن يندرج ضمن الكفالة الاجتماعية، ودور المدرسة في خدمة المجتمع المحيط بها.

النظام التعليمي في المدرسة:

لا تذكر وقفية مدرسة (سلامة) ما يشفي غليل الباحث فيما يتصل بالنظام التعليمي القائم فيها، ولا يعني ذلك أن المدرسة لم يكن لها نظام قائم للتعليم، وإنما أحياناً كان بعض المؤسسين للمدارس الرسولية ذات الطابع الفردي لا يهتمون بذكر كل تفاصل العملية التعليمية بالمدرسة، وهذا يسري أيضاً على التخصصات العلمية التي كانت تدرس في المدرسة، فلم تشر الوقفية إلى مدرس الفقه ومدرس اللغة، والمقرئ، كما لم تقدم معلومات عن الطلبة الذين استوعبتهم المدرسة في هذه التخصصات.

وفيما يتعلق بالنظام التعليمي فثمة بعض الإيماءات القليلة عن ملامح هذا النظام، وهو في الغالب يتفق مع النظام التعليمي الذي كان سائداً في مجمل المدارس الرسولية، فمدة الدراسة بالمدرسة تقدر بأربع سنوات يتخرج الطالب بعدها من المدرسة، وفي حالة تعثره بعد هذه المدة يفصل ويستبدله الناظر بآخر، وعدد الملتحقين بها من الأيتام لا يتجاوز خمسة أيتام، كما أن ثمة قواعد لاختيار المدرسين بالمدرسة بحسب تخصصاتهم، فالمحدث لا بد أن يلم بعلم الحديث والمتن والسند وعلم الجرح والتعديل، متقناً قواعد اللغة العربية[73]، وما يخدم علم الحديث من علوم.

نتائج الدراسة:

- هكذا يتضح لنا من خلال البحث مدى اهتمام بني رسول بالعلم والعلماء، ودورهم في إثراء وازدهار الحياة العلمية في اليمن إبان حكمهم، بل وامتداد هذا الاهتمام إلى الحجاز وغيرها من البلاد التي دخلت في ظل الحكم الرسولي.
- كما تشير الدراسة إلى لون من ألوان الوقف العلمي في العصر الرسولي، هي أوقاف الحاشية.
- تقدم الدراسة صورة لحجم الأوقاف العلمية في العصر الرسولي، وكيف أن هذه الأوقاف كانت ظاهرة اقتصادية تشير إلى ثراء العصر الرسولي من جهة، وإلى سخاء بني رسول في الإنفاق على المرافق العامة.
- تبرز الدراسة حضور المرأة اليمنية (لاسيما نساء بني رسول) في العصر الرسولي في الحياة العامة، ودورها في التنمية الثقافية لمجتمعها من خلال تبني المشاريع التعليمية من مدارس والإنفاق عليها، فقد خصصت هذه الدراسة لوقف إحدى أميرات البيت الرسولي هي سلامة بنت الملك المجاهد.
- تشير الدراسة إلى النظام التعليمي في العصر الرسولي، من خلال وثيقة مدرسة سلامة، وأن هذا النظام

كان سارياً في معظم المدارس الرسولية.

- حرص الواقفون على استمرار هذه الأوقاف العلمية تؤدي وظيفتها التعليمية والتعبدية حتى فيما بعد وفاة الواقف، ويتضح ذلك من خلال حجم الأوقاف التي رصدت لها والنظام الذي رتب لإدارتها.

توصيات:

- توصي الدراسة بأهمية إحياء دور الأوقاف بوصفها من أهم مقومات الحياة العامة في المجتمع الإسلامي، وقيمة حضارية إسلامية، ومجالاً لإسهام المجتمع المدني في الكفالة والتنمية.
- توصي الدراسة بالتنقيب عن الآثار الإسلامية في اليمن لاسيما في تعز التي لم تبح بأسرارها إلى الآن.

الهوامش

1 – الأكوع. إسماعيل بن علي، الدولة الرسولية في اليمن، ص 14، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ / 2004 م.

2 – أنشأ الفقيه الشافعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر الريمي المعروف بجمال الدين البرازي مدرسة بزبيد لم تكن تخلو من طلبة العلم (الخزرجي. أبو الحسن علي بن الحسن ت 812 هـ، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، جـ4، ص 1938، تحقيق عبد الله بن قائد العبادي وآخرين، الجيل الجديد، صنعاء، ط1، 1430هـ / 2009م).

3 – ابن الديبع. عبد الرحمن بن علي، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ص 391، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1427هـ /2006م.

4 – بامخرمة. الطيب بن عبد الله بن أحمد، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج3، ص 2928، 2929، تحقيق: محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ / 2004 م.

5– الوقفية الغسانية، ص 69. (مخطوط في دائرة الأوقاف بمدينة تعز، وتشتمل على أوقاف الدولة الرسولية، من مدارس ومساجد وأراضٍ ودور وغيرها).

6– المصدر نفسه.

7 – المصدر نفسه، ص 44.

8 – المصدر نفسه، ص 95.

9 – أنشأ الملك المجاهد والد سلامة عدداً من المرافق التعليمية والتعبدية في تعز وفي غيرها من مدن وقرى اليمن وفي الحجاز، فبنى عدداً من المدارس بتعز وفي مكة وجعل لها أوقافاً كبيرة، إلى جانب المساجد والمرافق الأخرى، كما أنه الذي مدَّن ثعبات (الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج2، ص 636، 637، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1430هـ/ 2009م).

10 – مصطلح محلي مازال يستخدم إلى الآن، ويطلق على تجار المواشي.

11– الأكوع. إسماعيل، المدارس الإسلامية في اليمن، ص154، دار الفكر، دمشق، 1400هـ/ 1980م.

12 – المصدر نفسه.

13 – الوقفية الغسانية، ص 80.

14– المغربة، أو مغربة تعز المنطقة الواقعة في الجهة الشرقية من قلة القاهرة (حصن تعز) وما تزال محتفظة بهذا الاسم إلى الآن، مع ظهور بعض الأسماء الجديدة لأحياء المغربة، مثل السواني، والمؤيدية.

15– صبر بفتح أوله وكسر ثانيه جبل كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب على مساحة شاسعة، يطل على مدينة تعز وقلعتها، تسكن على قممه وسفوحه ثلاث مديريات هي صبر الموادم والمسراخ و(مشرعة وحدنان)، ويزيد عدد سكانه على 250 ألف نسمة، وفيه عدد من الحصون القديمة مثل حصن العروس وحصن برداد والرامة وغيرها، ويبلغ ارتفاعه 3000 متر فوق سطح البحر (ياقوت. شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، جـ3، ص 392، دار صادر، بيروت، الحجري. محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ2، ص462، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ط1، 1404هـ / 1984، المقحفي، إبراهيم، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص244، دار الكلمة، صنعاء، 1405هـ/ 1985م).

16–السائلة يطلق على مجرى السيل بين الجبال والوديان، وما زالت التسمية مستعملة إلى اليوم.

17– الوقفية الغسانية، ص75.

18 – المقدم القبلي غالباً يمثل محراب المسجد الذي اشتملت عليه المدرسة.

19 – اليماني نسبة إلى اليمن، وهي إشارة إلى جهة الجنوب، ومن ذلك الركن اليماني.

20 – المقصود بالصحف هنا الأخشاب الصغيرة التي تصل بين الأخشاب الكبيرة في السقف، وهي ضرورية لتسطيح المباني.

21 – الوقفية الغسانية، ص70.

22– الوقفية الغسانية، ص20، الأكوع، المدارس الإسلامية، ص191.

23 – الوقفية الغسانية، ص78.

24 – الحائط: لا يقصد بالحائط الجدار كما هي دلالته الآن، وإنما كان يقصد به البساتين أو الحدائق المنزلية التي تحتوي على بعض أشجار الفواكه وبعض الخضروات، ولا زالت التسمية مستعملة بهذا المعنى في بعض مناطق تعز.

25 – الوقفية الغسانية، ص74.

26 – المصدر نفسه، ص70

27- المقصود بالزيوت هنا تلك التي تستخدم في الإضاءة، وكان أهل اليمن يحصلون عليها – إلى وقت قريب – من عصر بعض بذور الأشجار مثل شجرة (الشرب) وهي شجرة تنمو على جانبي مجاري السيول، ومن بعض المواد الأخرى مثل مخلفات الحيوان وغيره.

28- كانت مادة الشمع المستخدمة في الإضاءة تستخرج من خلايا النحل باستخلاص المادة الشمعية منها.

29- الوقفية الغسانية، ص76.

30 – المصدر نفسه، ص76، 77.

31 – المصدر نفسه، ص76.

32 – المصدر نفسه، ص77.

33 – الحمأة: هي الأوساخ التي تتجمع في قاع البركة، وبمرور الوقت تتحلل وتتحول إلى مادة ذات رائحة كريهة، وتغير رائحة الماء وطعمه ولونه، وما زال المصطلح مستخدماً إلى الآن في بعض الأرياف.

34 – الوقفية الغسانية، ص 77.

35 – المصدر نفسه.

36 – المصدر نفسه.

37- فاروق أحمد حيدر مجاهد (الدكتور)، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، جامعة صنعاء، صنعاء، 1425هـ/ 2009م.

38- الوقفية الغسانية، ص 77، انظر كذلك: السنيدي. عبد العزيز، المدارس الإسلامية في اليمن، ص 208.

39 – "وإلى قارئ يقرأ الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم، فقيه عارفاً بالأسانيد وأسماء الرواة ومبين الحديث وعارفاً بالإعراب يقرأ في كل يوم بعد صلاة العصر في المدرسة المذكورة ما تيسر ويسمع من حضره، ويدعو عقيب ذلك، وعليه حفظ كتب المدرسة المذكورة فيها فما احتاجت إليه من ترقيع رفع المر على الناظر ليصلحها، (الوقفية الغسانية، ص 77).

40 – الوقفية الغسانية، ص 77.

41 – المصدر نفسه.

42 – كان من الفقهاء الذين درّسوا في مدرسة سلامة (المؤيدية) جمال الدين محمد بن عمر بن عبد الله العودي، بعد أن انتقل إلى تعز، وكان فقيها عالماً، فأضيفت إليه مدرسة سلامة والمنصورية) الأكوع. إسماعيل، المدارس الإسلامية، ص 193.

43 – الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، ص 193،

44 – ومن ذلك صرف الناظر إلى إمام حافظ للقرآن الكريم عن ظهر قلب حسن الديانة ظاهر العدالة يصلي في المدرسة المذكورة الخمسة الأوقات المفروضة في أوقاتها والنوافل التي جرت العادة بإجماع الناس فيها كالتراويح والرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان والخسوف والكسوف ملازم لما هو منوط بالإمامة عارف بفروض الوضوء وسننه وفروض الصلاة وسننها وطهارة البدن والثوب، وما يتعلق بأمر الصلاة (الوقفية الغسانية، ص 76).

45-وإلى مؤذن يؤذن في المدرسة المذكورة الخمسة الأوقات ويقيم بها الصلاة على مر الزمان، ثم في الليالي التي جرت العادة بإجماع الناس فيها حسن الصوت أمين بالأوقات (الوقفية الغسانية، ص76).

46 – الشعبانية لا زالت تحتفظ باسمها إلى الآن، وهما شعبانيتان العليا والسفلى، فمن العليا الحوبان وهو قاع فسيح إلى الشمال من مدينة تعز، يمتد بين مدينة تعز ومدينة القاعدة، ومن الشعبانية السفلى الكلابية، وهي الآن ضمن مديرية المعافر التي تحمل الاسم القديم للإقليم وللدولة (دولة المعافر)، والشعبانية تغذي تعز بالمياه، وينسب إليها عثمان بن محمد الأبرهي الشعباني المتوفي سنة 547هـ (الهمداني. الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، ص 138، تحقيق، محمد بن علي الكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1429هـ / 2008م.

47 – حصبان عزلة في مديرة المسراخ إلى الجنوب الغربي من تعز، وتنقسم إلى قسمين حصبان أعلى وحصبان أسفل، وحصبان أسفل تقع فيها مدينة جباء التي كانت عاصمة دولة المعافر.

48- إحدى عزل مديرية المسراخ الحالية، وهي من العزل الجبلية تقع إلى الشمال من مركز المديرية.

49 – الوقفية الغسانية، ص 72، 73، 74.

50 – المصدر نفسه، ص 77.

51 – المصدر نفسه.

52 – المصدر نفسه، ص 75.

53 – المصدر نفسه.

54 – المصدر نفسه.

55 – المصدر نفسه.، ص 76.

56 – المصدر نفسه، ص 77.

57 – المصدر نفسه، ص 76.

58 – مادة للإضاءة كان يحصل عليها حينذاك من خلايا النحل بعد أن يستخلص منها العسل ثم يصب في قوالب للإضاءة، وتقدم المصادر الرسولية صوراً عن بعض الطرائق التي يحضر بها الشمع، وكذا أنواع الشموع مثل الشموع الكافورية والموكبية السلطانية، وكان الشمع يزود بفتيل من القطن لإشعاله. (نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، ص 315، 316،317، 318، 319، 320، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 1424هـ /2003م، ارتفاع الدولة المؤيدية، ص3، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 1429هـ / 2008م.

59 – الرجبية هي أول جمعة من رجب، يحتفل فيها اليمنيون لاسيما أهل تعز لأنها صادفت قدوم الصحابي الجليل معاذ بن جبل إلى الجند (بتعز)، وما زال الاحتفال بهذه المناسبة إلى الآن.

60 – المقصود بالشعبانية ليلة النصف من شعبان، يحتفل بها اليمنيون لأنها اليوم التي ترفع فيها أعمال الناس، وقد اعتاد الناس أن يذبحوا فيها ويقيموا الولائم، وما زالت هذه العادة موجودة في بعض مناطق اليمن إلى الآن.

61 – المن بفتح الميم، جمعه أمناءٌ وتثنيته منوان ومنيان والأول أولى، وهو ميزان يساوي رطلان يوزن به السمن، والمنُّ مئتان وستون درهماً، وأوقية وست وعشرون أوقية (ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص 4285، الشرباصي. أحمد (الدكتور)، المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص 443، 444، دار الجيل، 1401هـ/ 1981م).

62 – الزبدي: وحدة كيل قرره ووضع عياره الوالي سنقر بن عبد الله الأيوبي، وقد أعيد النظر في عياره مرات عدة في عهد دولة بني رسول، وإلى جانب الزبدي السنقري ظهرت العديد من الأزبد المنسوبة إلى البلدان التي كانت تتعامل بها، ومنها الزبدي التعزي (الذي نحن بصدد الحديث عنه) نسبة إلى تعز، والزبدي المنصوري نسبة إلى منصورة الدملوة، والدملوي نسبة إلى قلعة الدملوة، والزبدي الجندي، والزبدي الصنعاني، والزبدي الجبلي، والزبدي العدني، وزبدي جبلة، وزبدي الفطرة، والزبدي الزبيدي (نور المعارف، ج1، ص 340– 342).

63 – الوقفية الغسانية، ص 76.

64 – المصدر نفسه.

65 – المصدر نفسه، ص77.

66 – ويعطى (القيم) في كل شهر ثلاثين زبدياً، وفي السنة عند ختم القرآن ثلاثين ديناراً (الوقفية الغسانية، ص، 77).

67 – الوقفية الغسانية، ص76.

68 – المصدر نفسه.

69 – المصدر نفسه.، ص 77.

70 – المصدر نفسه.

71 – المصدر نفسه.

72 – المصدر نفسه.، ص 78.

73 – المصدر نفسه.، ص 77.

المصادر والمراجع:

1– الوقفية الغسانية (مخطوط في دائرة الأوقاف بمدينة تعز، وتشتمل على أوقاف الدولة الرسولية، من مدارس ومساجد وأراضٍ ودُور وغيرها).

2– **ارتفاع الدولة المؤيدية**، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 1429هـ/ 2008م.

با مخرمة. الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت947هـ/1540م).

3– قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م.

الحجري. محمد بن أحمد

4 – مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ2، ص 462، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ط1، 1404هـ/ 1984

الخزرجي. أبو الحسن علي بن الحسن ت 812 هـ.

5–العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، تحقيق عبد الله بن قائد العبادي وآخرين، الجيل الجديد، صنعاء، ط1، 1430هـ/ 2009م).

6–العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1430هـ/ 2009م).

ابن الديبع. عبد الرحمن بن علي

7–قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1427هـ/ 2006م.

ابن منظور. جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. (ت 711هـ/1311هـ).

8–لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة.

9–نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 1424هـ/2003م

الهمداني. الحسن بن أحمد بن يعقوب

10– صفة جزيرة العرب، تحقيق، محمد بن علي الكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1429هـ/ 2008م.

ياقوت. شهاب الدين أبي عبد الله الحموي

11– معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

ثانياً المراجع الحديثة:

الأكوع. إسماعيل بن علي

1– الدولة الرسولية في اليمن، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ / 2004 م.

2– المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر، دمشق، 1400 هـ / 1980م.

السنيدي. عبد العزيز (الدكتور)

3– المدارس الإسلامية في اليمن، ص 208.

الشرباصي. أحمد (الدكتور)

4– المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1401هـ/ 1981م).

فاروق أحمد حيدر مجاهد (الدكتور)

5– التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنيين السابع والثامن الهجريين، جامعة صنعاء، صنعاء، 1425هـ/ 2009م.

6– **المقحفي**. إبراهيم، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص244، دار الكلمة، صنعاء، 1405هـ/ 1985 م).